مرحلة الرفض الرومانسي ، هي في المقابل ، مرحلة للبحث عن الذات . ولعل الرفض يأتي من خلال اكتشاف هذه الذات . جدلية الارض ــ العدو ، تحيل الشاعر الفلسطيني ، من مجرد مغن على الجراح الى ضوء يكشف مواقع الشعب الذي تدميه هذه الجراح وتسحقه . العصب الرئيسي لهذه المرحلة هو الهوية . من نحن ؟ وما هي علاقتنا بالارض التي عليها نعيش ؟ الانتقال جرى سريعا من رومانسيـــة الهروب ، الى رومانسية المواجهة . ولعل محمود درويش استطاع في قصيدته **بطاقة هوية**(٥) ان يعيد الاشياء الى أحجامها الحقيقية . نحن شعب مسحوق . نتشبث بالارض . ونتمسك بقيمنا العربية . منفتحين على مستقبل الانسانية . نقطة التشديد هي في الهوية العربية التي حولهـــا سوف يتمحور كل الشعر المقاوم . ومن خلالها سوف نفهم لماذا هذا التساهل في تحليل هزيمة حزيران ، وهي التي ستفسر لنا الطبيعة السهلة للاجابات عن أسئلة مصيرية كسؤالنا حول مستقبل المعركة مع اسرائيل وآفاق هذه المعركة .

« سجل أنا عربي » يقول محمود درويش . وحول هذه الكلمة يتمحور كل الحقد ، كل الحب ، ويصير التاريخ جزءا من المستقبل . يتحد الماضي والحاضر في لا وعي عرب الارض المحتلة وتبدأ الرحلة من رومانسية الجراح الى واقعية الاحتجاج .

على المستوى التشكيلي ، فان قصائد هذه المرحلـــة تتراوح بـــين الشعـــر العمودي الكلاسيكي (وحدة البيت او الرباعيات) وبين الشكل الشعري الحديث وحدة التفعيلة في القصيدة ، مع وحدة المضمون الشعري فيها . الذي يمكن ملاحظته هنا ، هو أن هذا الشعر ، هو انعكاس مباشر للمدارس الشعرية في الوطن العربي . فالرومانسية وبداية التحرك نحو الواقعية ، وظاهـــرة شعر نزار قباني ، كانت هي محـــرك المرحلـــة في الخمسينات . اما التشكيل الفني ــ اعتماد شكل القصيدة الحديثة فانها هنا ، لا تأتي نتيجة معاناة تشكيلية . انها شكل ، مجرد شكل . والشكل لا يهم المهم هو المضمون . هو البحث عن مضمون جديد ، يستطيع ان يحمـــل هموم ومشاكل المرحلة التي كـــان يعيشها عرب الارض المحتلة .

ب ــ الاحتجاج الواقعي :

« وكانت جريمتنا اننا
بقينا هنا ..
على ارضنا .
فغصوا بنا
وكادوا لنا
فدقوا الاسافين في روحنا
وبالغدر قد لغموا دربنا »(٦).

عندما يريد حنا ابو حنا ان يروي « حكاية قرية » فانه بالحقيقة يروي قصة الصمود في الارض المحتلة ، ولو كان الصمود الذي ينشده صوتا ساكنا ، لكنه مترقب ، انه صمود « الكف التي تقاوم مخرزا » وهو بقاء في الارض . غير أن محمود درويش يحول هذا الصمود من طابعه السلبي ، الى الفعل الايجابي فوالـــده « يسترجع المناقبا » « يصنع الاطفال والتراب والكواكبا » . ويحدد دور الشاعر فالشاعر هو مثل لوركا « زلزال واعصار مياه » وهو يحقـــق قفزة الانتقال من الرومانسية الى الواقعيـــة المقاومة عبر اغتياله « لقمر الشتا » . فالقمر صديق الشعراء يموت بين يدي الشاعر ، كي يبـــدأ الشعر صفحة جديدة :

« واقول للشعراء : يا شعراء امتنا
انا قاتل القمر الذي كنتم عبيده »(٧).